" يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد " .

قرئ : يوم يأت بغير ياء . ونحوه قولهم : لا أدر حكاه الخليل وسيبويه . وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل . فإن قلت : فاعل يأتي ما هو ؟ قلت : ا D كقوله : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم ا " البقرة : 210 ، " أو يأتي ربك " الأنعام : 158 ، " وجاء ربك " الفجر : 122 وتعضده قراءة : " وما يؤخره " بالياء . وقوله : " بإذنه " ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى : " أن تأتيهم الساعة " يوسف : 107 ، . فإن قلت : بما انتصب الظرف ؟ قلت : إما أن ينتصب بلا تكلم . وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله : " إلا لأجل معدود " هود : 104 ، أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت : فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت : المراد إتيان هوله وشدائده " لا تكلم " لا تتكلم وهو نظير قوله : " لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن " عم : 38 ، . فإن قلت : كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى : " يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها " النحل : 111 ، وقوله تعالى : " هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون " المرسلات : 36 ، قلت : ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها : يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم " فمنهم " الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله : " لا تكلم نفس " يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله : " مجموع له الناس " هود : 103 ، والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة إحسانه .

" فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك لفعال لما يريد " .

قراءة العاقة بفتح الشين . وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ : سعدوا والزفير : إخراج النفس . والشهيق : رده . قال الشماخ : .

بعيد مدى التطريب أول صوته ... زفير ويتلوه شهيق محشرج .

" ما دامت السموات والأرض " فيه وجهان أحدهما : أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد . والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات " إبراهيم : 48 ، وقوله : " وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء " الزمر : 74 ، ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم : إما سماء يخلقها ا أو يظلهم

العرش وكل ما أظلك فهو سماء . والثاني أن يكون عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع . كقول العرب : ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مر كلمات التأبيد . فإن قلت : فما معنى الاستثناء في قوله : " إلا ما شاء ربك " وقد ثبت خلوا أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء ؟ قلت : هو استثناء من الخلود في عذاب النار . ومن الخلود في نعيم الجنة : وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط ا عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم . وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان ا كما قال : " وعد ا المؤمنين والمؤمنات جناتتجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من ا أكبر " التوبة : 72 ، ولهم ما يتفضل ا به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو . فهو المراد بالاستثناء . والدليل عليه قوله : " عطاء غير مجذوذ " هود : 108 ، ومعنى قوله في مقابلته : " إن ربك فعال لما يريد " أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة . إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم . وما ظنك بقوم نبذوا كتاب ا لما روى لهم بعض النوابت عن عبد ا بن عمرو بن العاص :